# ٢ رحلات هيل : المغالاة فى الواقعية فى الصور المتحركة قبل عام ١٩١٠

بقلم : ريموند فيلدنج

لقد مرت الصور المتحركة عبر تاريخها المتقلب الغريب الأطوار الذى بدأ منذ ٧٥ عاماً إلى تجارب تكنولوجية مستمرة فى محاولات بذلها أصحابها لتحقيق أقصى درجة من الواقعية فى الإنتاج وعرض منتجاتها . وعلى مر السنين مضى العاملون فى مضمار الصور المتحركة قدماً نحو خلق سينما أقل اعتمادًا على الأسلوب وأكثر اتجاهًا للواقعية والأخذ بالمذهب الطبيعى مبتدئين بذلك بإضافة الأفلام الملونة ، والأفلام الأحادية الصوت Monophonic ثم الستيريو والصور الثلاثية الأبعاد وأخيرًا الشاشة الكبيرة .

حقا ، لقد حدث شىء ذو بال ، على ما يبدو ، فى واقعية الصور المتحركة فى عام ١٩٥٥ حينما تقدم والت ديزنى الراحل بعرض فيلمه « رحلة إلى القمر » فى ديزنى لاند بولاية كاليفورنيا . لقد أخذ هذا العرض المستمر شكل صاروخ ضخم يتسع لمائة وخمسين راكباً وهو مكتمل التصميم من الداخل حيث الأقراص الساطعة وأنوار التحكم المتوهجة والمضيفات وجميع التجهيزات المسرحية اللازمة لطبق طائر .

وبعد إجراء العد التنازلى الدراماتيكى ، تهتز المقاعد وتتحرك الأقراص ويسمع أزيز الآلات وهديرها ، ثم يعرض فيلم متزامن مع عصر الفضاء بواقعية ، مصوِّراً رحلة عبر

الفضاء الخارجى على شاشات الصور المتحركة من فوق والمشاهدين من تحت . ولقد تجمعت كل المؤثرات لتقديم فيلم وهمى وإن كان مقنعًا نظريًّا برحلة فضائية .

ولكن مهما كانت روعة هذه الرحلة الخيالية ، فإنه ليس ثمة شيء جديد حولها ، ففى عام ١٨٩٥ تقدم الروائى هـ . ج . ويلز وروبرت ول ، رائد الأفلام البريطانى ، بطلب حق إنتاج فيلم عن رحلة عبر الزمن والفضاء على أساس رواية ويلز العلمية « آلة الزمن » . كان أعضاء جمهور النظارة ستخصص لهم مقاعد على منصات تتحرك نحو الاقتراب من الشاشة ثم تبتعد عنها ، حيث يجرى عليها عرض شاهد الصور المتحركة . كان هذا العمل بالنسبة لعصره يتسم بالنبوغ والطموح ، ولكن نظراً لارتفاع تكاليف مثل هذا العمل ، اضطر ويلز وبول إلى التخلى عن فيلميهما الذى يمثل سفينة فضائية فى رحلة عبر الفضاء ، وبذلك لم يتحقق لهما تسجيل سبق على ديزنى قبل فيلمه المشار إليه بأكثر من خمسين عامًا .

لقد كانت الصور المتحركة عبر الأطلنطى ، أى فى الولايات المتحدة ، كما كانت فى بريطانيا العظمى عند بداية القرن مازالت بدعة جديدة قوامها التمثيليات الهزلية ( الفودفيل ) ، ولكن ما لبثت الأفلام السينمائية البعيدة الواقعية أن بدأت فى الظهور .

لقد اتخذت الأفلام إذ ذاك صورة عربة سكة حديد صناعية يتطلب تشغيلها مجموعة من العمليات والمميزات وعوامل الإثارة حيث يجمع بين الحركة والصوت والرأى مما يدخل فى روع المشاهد بأنه يرى قطاراً حقيقيًّا مسرعاً فى رحلته نحو محطة الوصول . ولقد سميت هذه الرحلات القطارية برحلات هيل ومشاهد من العالم . وكانت نتاج الخيال الخصب الذى كان يتمتع به جورج س . هيل رئيس قسم المطافئ السابق المشهور فى كنساس سيتى بولاية ميسورى .

لقد كان جورج هيل مهندساً ميكانيكيًّا وكانت العروض المختلفة هوايته المفضلة وإن كان قد قضى كل حياته كرجل من رجال المطافئ . وعندما حل عام ١٨٨٢ حصل

على ترقية وأصبح رئيساً فى كنساس سيتى واحتفظ بهذا المنصب مدة ٢٠ عاماً إلى أن تقاعد فى عام ١٩٠٢ . وفى أثناء خدمته اخترع أجهزة كثيرة استخدمت فى مكافحة الحرائق بما فى ذلك أطقم واقية للخيول التى كانت تستخدم فى عمليات المكافحة وجهاز واق لرجل المطافئ وآلة لقطع الأسطح المعدنية وآلة لقطع الأسلاك الكهربائية وآلة هيل البخارية الرحوية ونظام الإنذار التليفونى المحسن وهو جهاز معقد سبق زمانه .

وقبيل عام ١٩٠٤ حول هيل اهتمامه إلى الصور المتحركة الحديثة العهد إذ ذاك ،وفكر فى تطبيق جديد لها .

لم تكن السينما فى ذلك الحين سوى بدعة جديدة وكان مصيرها يتعلق بمدى إقبال الجماهير على دور الفودفيل وحصيلة الشباك .. كان معدل مدة عرض برنامج الصور المتحركة يتراوح بين عشر وخمس عشرة دقيقة ، وكان يتألف من مجموعات من اللقطات الهزلية والدراماتيكية والإعلامية والرياضية وغيرها من المشاهد . ولم يكن استخدام الفيلم لأغراض عرض القصص قد بدأ بعد . وجدير بالذكر أن كثيرًا من الأفلام لم يعرض على الشاشة على الإطلاق ، وإنما كانت تشاهد على شاشات صغيرة تعرض فى أروقة ضيقة للغاية ويشاهدها النظارة بطريقة تشبه طريقة « صندوق الدنيا » .

ولم يعرف أبدًا ما إذا كان هيل قد نمى إلى سمعه نبأ تصميم السفينة الفضائية التى وضعها كل من ويلز وبول ، ولكننا نعرف تماماً أن هيل وأعضاء فريق المطافئ الذى كان يرأسه قد سافروا إلى لندن لتمثيل الولايات المتحدة فى المؤتمر الدولى لمكافحة الحريق الذى انعقد فى القاعة الزراعية فى المدة من ١٢ – ١٧ يونيو من عام ١٨٩٣ . وبعد ذلك ببضعة أعوام ، وعلى وجه الدقة فى عام ١٩٠٠ عاد هو ورجاله إلى أوروبا للمشاركة فى مؤتمر مماثل عقد فى باريس .

كان ظهور فريق المطافئ الذى يقوده هيل فى هذين المؤتمرين الأوروبيين يعتبر فى

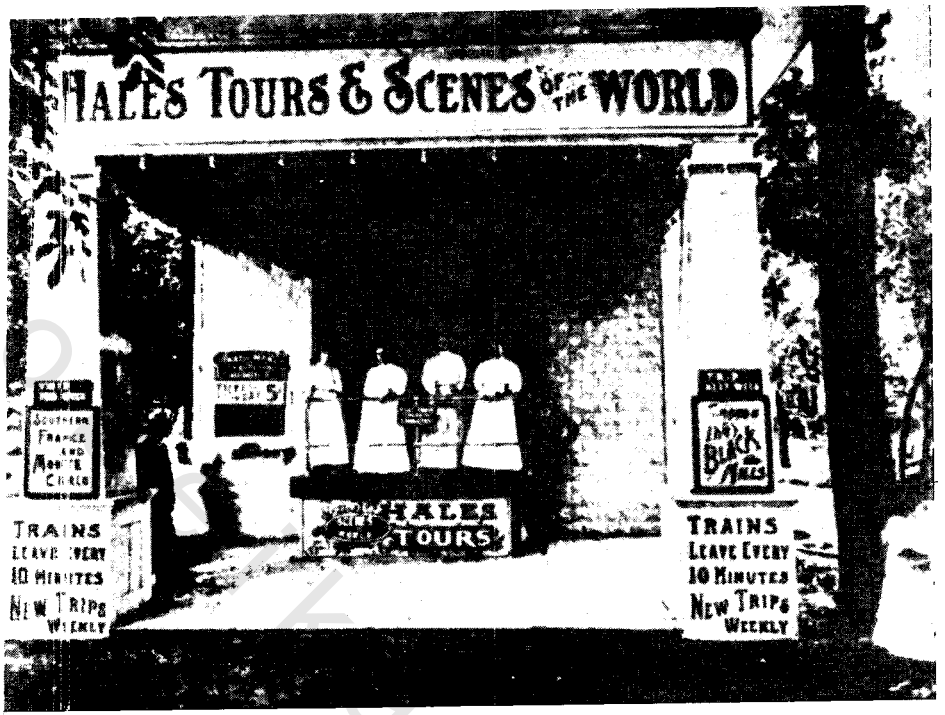


« وكانت منشأة رحلات هيل طبق الأصل من تلك المنشآت التى كانت تعمل فى حدائق الملاهى فى جميع أنحاء الولايات المتحدة . أما المنشأة التى ترى فوق هذا الكلام فقد كانت تعمل فى حديقة فاينوود فى توبيكو بولاية كنساس فى المدة بين ١٩٠٥ و ١٩١٠ .

حد ذاته نجاحًا باهرًا ، وقد شمل القيام بعرض طرق فنية فى مكافحة الحرائق قامت بها شركة كنساس سيتى لمكافحة الحريق ، وكانت الفرقة مزودة بخيول مدربة وأدوات وأجهزة لإنقاذ الحياة . وقد تلقت فرقة مطافئ هيل أوسمة كثيرة ، أما هو فقد لمع اسمه وسطع نجمه كعارض مسرحى .

ولعل هيل سمع فى رحلته الثانية إلى أوروبًا عن تصميم ويلز وبول ، والأهم من ذلك ، أنه يحتمل أن يكون أثناء وجوده فى باريس قد شاهد أو على الأقل سمع بعرض الفيلمين الواقعيين اللذين جرى عرضهما فى معرض باريس عام ١٩٠٠ .

كان أحد هذين الفيلمين اسمه « سينيوراما » وتولى تقديمه راؤول جريموان سانسون . وكان عرضه يصور مشهدًا تنطلق فيه بالون ضخم من سلة هائلة ويأخذ فى الارتفاع والتحليق فوق المناطق الريفية الأوروبية . كان النظارة يقفون فوق منصة دائرية عالية تعمل تحتها عشر آلات عرض تعمل متزامنة ، أى فى وقت واحد ، وتلقى الصور المتحركة على شاشة دائرية يبلغ محيطها ٣٣٠ قدما وارتفاعها ٣٠ قدما . وكانت الأفلام التى تعرض ملونة تلوينًا يدويًا وتم تصويرها من بالون حقيقى محمول جوا .

أما عرض الفيلم الثانى واسمه « ميريوراما » الذى قدمه إخوان لوميير ، فكان يقلد مشهدًا يراه المرء من فوق برج سفينة وهى تجوب البحر .

وقد يكون هيل قد سمع بأفلام « ركوب الشبح » الذى اكتسب شهرة فى انجلترا مع بداية عام ١٨٩٨ .. كانت هذه الأفلام تمثل صورًا متحركة تقليدية لمشاهد محلية يجرى تصويرها من عربة كاسحة مثبتة فى مقدمة قطار مسرع .

وبعد أن تجمعت لدينا هذه المعلومات ، فإننا قد نصبح قادرين على إعادة ترتيب الأحداث التى أدت بالمستر هيل إلى دخول حقل العمل السينمائى .

يبدو أنه أثناء الفترة من عام ١٩٠٢ إلى عام ١٩٠٤ فكر مخترع يدعى وليم ج كيف من سانت لويس بولاية ميسورى فى إقامة سرادق للهو والترويح ، وكان السرادق شبه خيمة كبيرة دائرية الشكل تدور حولها عربة سكة حديد مفتوحة الجوانب على قضبان داخل نفق دائرى مظلم . وكان جدار النفق المواجه للداخل حتى وسط السرادق بمثابة شاشة مستمرة تعرض عليها صور ثابتة لشخصيات بواسطة آلات للعرض توضع إما فى وسط السرادق أو الخيمة أو تُركَّب على عربة السكة الحديد نفسها .

كان الغرض من جهاز التسلية والترويح هذا هو تزويد الركاب بمعلومات عن طريق عرض صور حقيقية للمشاهد التى سيرونها فى حالة سفرهم بقطار حقيقى عبر مناطق ذات مناظر خلابة فى العالم . ويشمل العرض صورًا متحركة جرى تصويرها من قطار

متحرك حقيقى . وكان شعور الوهم بركوب القطار يعززه استخدام طريق غير معبد الأمر الذى يجعل العربة تتأرجح وتترنح حتى يوحى ذلك بارتفاع معدل السرعة . وإلى جانب ذلك كانت تستخدم آلة لتوليد الريح داخل النفق لدفع الهواء داخل العربة . وكان كل ذلك مصحوبًا بعدة أصوات مناسبة مثل زئير الآلة البخارية واندفاعها والصفير وغير ذلك .

وقبل أن يعمد وليم كيف إلى ملء الطلب الخاص بتسجيل اختراعه فى عام ١٩٠٤ وسعيه لجميع الأموال اللازمة لإخراج هذا الاختراع إلى حيز الوجود ، عرض فكرته على فرد و . جيفورد ، قاضى مدينة كنساس سيتى وصديق وثيق الصلة بجورج س . هيل . وقد وافق هيل وجيفورد على توفير الدعم المالى اللازم لاستغلال الاختراع ، وعليه حينما صدرت براءة الاختراع فى شهر أغسطس من عام ١٩٠٤ ، تضمنت توزيع الأنصبة على أساس حصول جورج هيل وفرد جيفورد على الثلثين وحصول وليم كيف على الثلث وأخيرًا ، اشترى هيل وجيفورد جميع حقوق الاختراع من كيف ، وعمدا بعد ذلك إلى تطويره تجاريًا .

وقد قدما عرضها فى عام ١٩٠٤ فى معرض سانت لويس ، وهو سوق عالمية أقيمت لإحياء ذكرى شراء لويزيانا ، وافتتح المعرض فى سان لويس بولاية ميسورى فى ٢٠ أبريل من عام ١٩٠٤ . وقد سجل افتتاحه نجاحا كبيراً ، ومن الظواهر التى شهدها رواد العرض لأول مرة فى ذلك العام قوالب « الجيلاتى » المخروطية الشكل وتناول أول كوب من الشاى المثلج وأول وجبة من « السجق » . وكان جناح « لى دى فوريست » للاتصال اللاسلكى من بين العروض الحقيقية الهامة التى كانت موضع اهتمام رواد المعرض . وقد حصل هذا الجناح على الجائزة الأولى والميدالية الذهبية . وفى ذلك المعرض قام أوسكار ميستر ، رائد الفيلم الألمانى بعرض صوره المتحركة الناطقة .

وقد افتتح هيل وجيفورد عرضهما للصور المتحركة فى مدينة الملاهى بالمعرض وإلى

جانب ذلك عرض هيل عملية لإطفاء الحريق فى مدينة الملاهى قام به رجاله ، فقد أشعل حريقاً محدد الحجم وتولى رجاله إطفاءه حسب برنامج مرسوم .

وفى ربيع العام التالى ، أى فى ١٤ مارس من عام ١٩٠٥ ، قدم هيل طلباً لتسجيل اختراع جديد سماه « قطـار المتعة » وقد حصل على براءة هذا الاختراع فى العاشر من سبتمبر من نفس العام .

وكان التصميم الجديد قوامه استخدام عربتين على ممر مستقيم قصير ، وكان العملاء يركبون إحدى العربتين التى كانت تسير مسافة قصيرة داخل النفق ثم تلتحم مع عربة ثانية . كانت العربة الثانية مفتوحة على الجانبين وعند المقدمة . وكان النظارة من هذه العربة الثابتة يشاهدون العرض ويحسون بشعور السفر .. وقد تضمنت غالبية منشآت « رحلات هيل » عربة سكة حديد ثابتة واستخدام العربة المتحركة فى نقل الركاب من باب المبنى الأمامى إلى العربة الثابتة .

وكما يتبين من رسومات براءة الاختراع ، كانت العربة الثابتة مزودة بعدد من المقاعد لركابها مع ميل إلى الارتفاع التدريجى نحو المؤخرة لإتاحة رؤية كاملة للركاب .

وكان جمهور النظارة ، أى الركاب ، يشاهدون الصور المتحركة التى كان قد جرى تصويرها من عربة صغيرة موصولة بالعربة الأمامية لقطار متحرك ، ثم تعرض على شاشة مائلة بعض الشىء بواسطة آلة عرض « بروجكتور » موضوعة فى قبو مرتفع ومثبتة وراء العربة على مسافة قصيرة جدا ، وكان المقصود من حجم الشاشة والمسافة بين الشاشة والعربة وبعد البروجكتور عن الشاشة هو ضمان ظهور صورة تغطى جميع حقل الرؤية لركاب العربة والتى كانت تكفل ظهور الصور بالحجم الطبيعى .

وكان تحت العجلة حزام « سير » يدور باستمرار فوق أسطوانات وعجلات أثناء العرض محدثاً أصواتًا تشبه تمامًا الأصوات التى تصدر عن عجلات القطارات حينما تمر فوق المفاصل بين القضبان . وكانت سرعة الحزام يمكن التحكم فيها حسب المطلوب

لتصوير حركات قيام القطار وسرعاته المختلفة والأبعاد فى السرعات قبل محطات الوصول ... إلخ وكل ذلك يظهر فى الصور المتحركة . ولم يكن المخرج ينسى إحداث الهواء بواسطة آلة خاصة حتى يحس الراكب ، أى المشاهد ، بجو السفر الحقيقى ، وصفوة القول أن المرء كان يحس بجو قطار حقيقى أثناء الركوب .

وقد بادر هيل وجيفورد إلى استغلال اختراعها ، وحققا من وراء ذلك ربحاً وفيرًا ، والأهم من ذلك أن اختراعهم « قطار المتعة » قد لعب دورًا هاما فى تقرير وحياة ومستقبل كثير من الأفراد المغمورين الذين ما لبثوا بعد دخولهم حقل العمل السينمائى أن أصبحوا أعضاء عاملين فى صناعة الصور المتحركة الأمريكية . ومن هؤلاء سام وارنر أحد مؤسسى وأصحاب استوديوهات إخوان وارنر و ج د . وليمز ، مؤسسى ورئيس الاستوديوهات الأهلية الأولى وأدولف زوكور مؤسس إحدى الشركات السينمائية ورئيس شركة باراماونت وكارل لا يمل ، مؤسس ورئيس شركة يونيفرسال ، وكان فيلم « رحلات هيل » أول عرض سينمائى يشهده ، وكان هذا العرض يعتبر مقدمة للصور المتحركة التى أقنعته بأن هذا هو العمل الذى ينبغى عليه أن يستثمر رأسماله المتواضع وطاقته الهائلة فيه . كانت عروض « رحلات هيل » بالنسبة للمسترج . د . وليمز ؛ فى عام ١٩٠٥ أول عرض سينمائى يفتتحه فى فانكوفر ، فى كولومبيا البريطانية ، وكان أول عمل لسام وارنر فى حقل العمل السينمائى هو « بروجكشينيست » أى مدير آلة العرض السينمائى ، وكان ذلك أولاً فى هوايت سيتى بارك بمدينة شيكاغو ثم فى حديقة ملاهى أيدورا بمدينة يونجستاون ، بولاية أوهايو . أما بالنسبة لأدولف زوكور ، فإن « رحلات هيل » كانت بمثابة همزة الوصل التى ربطت بين عروضه الصغيرة فى أقبية بمدينة نيويورك ودخوله ميدان العمل السينمائى العادى . ومن رواد السينما الآخرين الذين كانت أول تجربة لهم فى مشاهدة الصور المتحركة عروض « رحلات هيل » الممثلة ماري بيكفورد والممثل رونالد كولمان والمنتج البريطانى بيرسى سميث .

كانت أول منشأة تجارية « لرحلات هيل » بعد معرض سانت لويس ، قد أقيمت فى عام ١٩٠٥ فى حديقة اليكتريك بمدينة كنساس سيتى بولاية ميسورى . وجاء فى مجلة « عالم الصور المتحركة » فى عام ١٩١٦ أن هذه المنشأة كانت « بمثابة بيت مؤلف من عربتين حليت مقدمته بالزخارف وبلغت تكاليفها ٧,٠٠٠ دولار ، بما فى ذلك مهمات العرض . وكان ثمن تذكرة الدخول عشرة سنتات ، وكانت كل عربة منهما تشغل مقاعدها تقريباً ، ويبلغ عدد المقاعد فى كل منهما حوالى ٦٠ مقعدًا ، وكانت مرات العرض تتراوح بين ٢٠ و ٧٥ مرة يومياً .

ولكن لم تبدأ عروض « رحلات هيل » تحظى باهتمام الجماهير وإقبالهم الشديد إلا عندما تناولتها الصحافة بالنقد ، وبخاصة العروض التى كانت تقام فى ٦٤ يونيون سكوير ( ١٤ شارع سانت وبرودواى ) فى مدينة نيويورك وفى شارع « سثيت ستريت » بمدينة شيكاغو .

كان أدولف زكور ، الرائد السينمائى هو الذى افتتح العرض فى نيويورك بالاشتراك مع وليم برادى ، الخبير الأمريكى بالمعارض والذى حصل على حقوق عرض « رحلات هيل » فى عشر من الولايات الشرقية . وعمد زوكور وبرادى بعد ذلك إلى افتتاح « رحلات هيل » فى بيتسبرج ونيورك وكونى أيلاند وبوسطن . وقال زكور فى خطاب بعثه لمؤلف هذا الكتاب فى عام ١٩٥٧ إن العرض كله كان يستغرق بين ٢٠ و ٢٥ دقيقة منها ١٥ دقيقة كانت مخصصة للفيلم نفسه . كانت عربة سكة الحديد التى يمتلكها تتسع لستين شخصًا وكان رسم الدخول محدداً بعشرة سنتات . وكانت واجهة المسرح أحياناً تبدو وكأنها بوابة مخزن للقاطرات . وكان حارس بلباس رسمى يقف على الباب ليحصِّل التذاكر ، وقد أصبح هذا الحارس « المحصل » والمشغل لجميع أجهزة العرض الخاصة بالعربة بعد أن يتم استكمال عدد الركاب . ويبدأ العرض . وكان العرض الذى يقدمه زوكور يتضمن محاضرًا يتولى شرح وتفسير نقط المشاهد الهامة التى يجرى عرضها .

كان كل شيء يبدو طبيعيًّا ، اللهم باستثناء الألوان ، وكان المشاهد مقتنعاً كل الاقتناع بأنه فى قطار حقيقى بسبب صور الطرق التى تسير بسرعة باتجاه معاكس وقد وصفت إحدى الصحف العرض بأنه كان يبدو حقيقيًّا للمشاهد حتى أن بعض الركاب أو النظارة كانوا يصيحون عندما كانوا يشاهدون بعض المشاة أمام القطار الثابت خوفًا من أن يدهمهم .

وبعد افتتاح العروض فى الساحل الشرقى ، انتشرت « رحلات هيل » فى جميع أنحاء الولايات المتحدة وكندا وافتتحت فروع لها فى دينفر وبورتلاند وسبوركين ووينيبيج وتورنتو وعشرات من المدن الأخرى . وذكرت جريدة تجارية أنه كانت هناك ٥٠٠ مؤسسة من مشروع « رحلات هيل » تعمل فى الولايات المتحدة وحدها فى وقت واحد .

وفى عام ١٩٠٦ قام وارد ، وهو ابن فرد جيفورد بنقل المعرض إلى المكسيك وجنوب أفريقيا وأمريكا الجنوبية والقارة الأوروبية والجزر البريطانية ، بل إنه عمد إلى افتتاح فرع فى هونج كونج .

وفى بريطانيا العظمى حصل هنرى آيلز على شراء حق عروض « رحلات هيل » وافتتح فرعًا لها فى ١٦٥ شارع أوكسفورد فى لندن . وإلى جانب ذلك افتتح فروعًا أخرى فى هرسميث وفى الأقاليم . كانت « رحلات هيل » فى كل من إنجلترا وأمريكا أول عرض متخصص للصور المتحركة . ولعبت هذه العروض دوراً هاما فى اجتذاب الجماهير البريطانية إلى الصور المتحركة ، وجدير بالذكر أن « رحلات هيل » التى افتتحت فى لندن وضعت سابقة وهى إلغاء الفروق الطبقية لأن جميع الرواد كانوا يدفعون سعرًا موحدًا قدره ستة بنسات للتذكرة .

على أن بعض شخصيات الطبقة العليا أعربوا عن استيائهم لمساواتهم مع الطبقة العاملة ، وقالوا إنهم لن « يركبوا » فى قطار العروض على أساس أنهم من ركاب

الدرجة الأولى فى حين أن العمال مخصصة لهم مقاعد الدرجة الثالثة ، ولكن ما لبث أن ثبت خطؤهم لأن الأغنياء من أصحاب القبعات الحريرية أخذوا مقاعدهم جنباً إلى جنب مع العمال ، وكان عدد المشاهدين يصل إلى ١٠٠٠ مشاهد يوميًّا – على الأقل لفترة من الوقت – ومع مرور الوقت حدث فى بريطانيا كما حدث فى أمريكا أن فقدت هذه البدعة الجديدة رونقها وعنصر الإثارة فيها وأخذت الرغبة فى مشاهدتها تتلاشى شيئًا فشيئًا ، وما لبث البريطانيون أن انصرفوا عن هذه العروض التى حل محلها عروض تقام فى دور للصور المتحركة مع تحديد مواعيد ثابتة للعرض .

لقد جرت العادة أن يعرض برنامج فيلم من أفلام « رحلات هيل » فى منشأة بعينها لمدة أسبوع واحد ، وبعد ذلك يجرى تغييره ببرنامج آخر يعرض رحلات لقطار فى مناطق مختلفة . كان هيل وجيفورد يتعاملان مع العارضين على أساس بيع أفلامها الكاملة بسعر يتراوح بين ١٥ و ٢٢ سنتاً للقدم ، ثم يشترون هذه الأفلام من جديد بعد انتهاء العرض بأسعار مخفضة . لقد سبق نظام التعامل هذا تطور نظام واسع النطاق للتبادل فى الولايات المتحدة . فكانت الأفلام عقب تقديمها للعرض تبدأ المساومات عن طريق الوسطاء أو السماسرة بين المنتجين ودور العرض مستبدلين بذلك إجراءات التأجير فى حجز الأفلام بعملية بيع مباشرة لها . وجدير بالذكر أنه لولا تطور نظم التبادل من ذلك القبيل لما ظهرت إلى حيز الوجود صناعة الصور المتحركة كما نعرفها اليوم .. ففى عام ١٩١٦ نشرت جريدة تجارية مقالاً عن تطور الصور المتحركة أشادت فيه بأفلام « رحلات هيل » وأرجعت إليها فضل الإقبال على الأفلام الذى كان عاملاً جوهريًّا فى تطوير نظام التبادل – أى تبادل الأفلام – فى الولايات المتحدة .

لقد عمد هيل بادئ ذى بدء فى الحصول على بعض أفلامه من شركة أديسون الأمريكية ومؤسسة باتى الفرنسية . وفيما بعد لجأ إلى التعاقد مع بعض المصورين لتصوير أفلامه ، ومن بينهم مصوران أمريكيان هما نورمان دون وت .ك . بيترز ، ولقد تولى

دون التصوير لحساب هيل فى سويسرا والمكسيك ، أما بيترز فقد اختار ميدان تصويره فى الشرق . وقد لجأ كلاهما إلى تركيب « كمرتيهما » فوق قطارات متحركة لتحقيق الأثر المنشود ، وكانا أحيانًا يعمدان إلى تركيب الكاميرات على العربة الكاسحة الموصولة فى مقدمة القاطرة ، وأحياناً كانا يضعان آلتى التصوير على آخر عربة مكشوفة من عربات القطار . وقال بيترز إنه كان يتقاضى ٥٠ سنتاً على كل قدم من الفيلم الذى يصوره .

كانت الأستوديوهات الأولى للصور المتحركة والمبادلات تعرض الأفلام على السوق العامة التى كانت تلائم عروض « رحلات هيل » وكانت شركتا وليم سوانسون وجورج كلاين فى شيكاغو تعرضان مثل هذه الأفلام ، كانت قائمة أفلام شركة كلاين المعروضة ابتداء من ٢٠ أبريل من عام ١٩٠٧ مثلاً تضم ١٤ فيلمًا من أفلام « رحلات هيل » ، وكانت جميعها قد صورت فى مناطق أجنبية منها طوكيو وكانتون وسويسرا وسيلان وهانوى ولورديز وجيل كارات وفيزور فيوس وأجرا وفرنكفورت . وكانت أطوال هذه الأفلام تتراوح بين ٦٥ قدما و ٥٠٨ أقدام معدل أطوالها ١٦١ قدماً . وإذا افترضنا أن الفيلم الواحد من أفلام « رحلات هيل » مقاس ٣٥ ملليمترًا تستغرق مدة عرضه ٦٠ قدمًا فى الدقيقة الواحدة ، فإن هذا يعنى أن معدل الوقت اللازم لعرض الفيلم الواحد يبلغ ٢,٧ دقيقة فقط . ولكن لعل بضعة أفلام كانت توصل بعضها ببعض لتكون عرضًا كاملاً .

كان بيع الحقوق الإقليمية لعروض الصورة المتحركة بالنسبة لهيل وجيفورد مربحة للغاية . ولقد قيل إن حقوق عرضها فى بريطانيا وحدها بيعت بمبلغ ١٠٠,٠٠٠ دولار فى حين أن إجمالى أرباح هيل من « رحلاته » قدر بمبلغ ٥٠٠,٠٠٠ دولار – وهذه تعتبر أرباحًا ضخمة بالنسبة لتلك الأيام .

أما بالنسبة للعارضين الذين اشتروا آلات العرض والحقوق الإقليمية ، فإن عروض « رحلات هيل » كانت أقل ربحًا ، ثم اكتشفوا فيما بعد أن الإيرادات أخذت

تتناقص . ومن أسباب ذلك أولاً أن عددًا محدودًا من الأفلام كانت متوفرة فى وقت واحد ، وكان هذا يعنى تكرار البرامج نفسها مما بعث الملل فى نفوس النظارة ، وثانيًا أنه بعد أن فقدت هذه البدعة الجديدة عنصر الإثارة ، سئم الرواد العروض واتجهوا إلى وسائل ترويحية أخرى .

وكتبت مجلة « فارايانى » فى عام ١٩٠٦ تتحدث عن ضعف الإقبال على « رحلات هيل » تقول :

« بانتهاء فصل الصيف تنتهى آخر عروض ما هو معروف – برحلات هيل – ولقد أصابت العروض فى العربات المقفولة نجاحًا قليلاً .. إن الاهتزاز الذى كان يصحب العرض قد جعل النساء ينصرفن عنه بعد الزيارة الأولى ، وثمة سبب آخر هو الصعوبة فى الحصول على مشاهد جذابة كافية . وإلى جانب ذلك فإن ضيق المكان أسهم بنصيبه فى ذلك . ولقد حققت بعض العربات ربحاً فى البداية ، ولكنها ما لبثت أن خسرتها فيما بعد » .

لا يعرف أحد متى اختفت عروض « رحلات هيل » نهائيا من مسرح الملاهى الدولى ، ولكن أغلب الظن أنها تلاشت فى حوالى عام ١٩١٢ . أما بالنسبة لهيل ، فإنه لم يلعب دورًا جديدًا فى صناعة السينما ، ولكنه اعتزل الحياة فى كانساس سيتى بولاية ميسورى حيث توفى فى ١٤ يوليو من عام ١٩٢٣ عن ٧٣ عامًا .

إن محاولات هيل الخام لتصوير الحقيقة قد تبدو لنا مضحكة الآن ، ولكن تأثير عروضه الصغيرة على الصور المتحركة الناشئة لا يمكن التقليل من شأنه . لم تكن هذه العروض بمثابة مقدمة للصور المتحركة الأولى المبكرة وإشاعتها فحسب ، وإنما عملت كجسر بين العروض البدائية المحدودة التى كانت على غرار « صندوق الدنيا » وعروض الفودفيل وبين مسارح الصور المتحركة المؤقتة التى انتشرت فى الولايات المتحدة بين عامى ١٩٠٥ و ١٩١٠ . كانت « رحلات هيل » أول مسرح متخصص معترف به

للصور المتحركة ينتشر فى جميع أنحاء الولايات المتحدة .

ولقد لعبت رحلات هيل ، نظرًا لانتشار توزيعها والإقبال على أفلامها ، دورًا هاما فى دعم نظام تبادل الصور المتحركة التى بدون نموها ونجاحها ، لما كتب البقاء لصناعة الصور المتحركة .

وأخيرًا فإنها تمثل واحدًا من الأمثلة الأولى فى سلسلة طويلة من المحاولات المستمرة التى كان يبذلها منتجو الأفلام لتصوير أو تقليد بعض النواحى للواقع المرئى .

وبعد مرور نصف قرن على أول عرض « لرحلات هيل » فى عام ١٩٠٤ فى معرض سانت لويس ، قدم عرض للصور المتحركة باسم « انطباعات السرعة » فى سوق بروكسل الدولية التى أقيمت عام ١٩٥٨ . ومن المحتمل أن يكون أصحاب هذا العرض لم يسمعوا شيئًا عن « رحلات هيل » . وقد وصف ذلك مقال فى مجلة « إيفرجرين ديفيوا » قال فيه كاتبه :

إن « انطباعات السرعة » فى جناح خاص يعتبر تجربة هامة بالرغم من عدم اتساع المكان لأكثر من ٢٥ من النظارة فى وقت واحد ، كان النظارة يتخذون مقاعدهم وكأنهم فى عربة من عربات السكة الحديد ، تطل على مناظر ومشاهد لا من المقدمة وإنما من على جانبى القطار ، ويجرى عرض المناظر عن طريق النوافذ التقليدية المزيفة وكل ذلك مصحوب بموسيقى سيتريوفونيك ، وتبدو المناظر للمشاهد كأنها طبيعية ولقد سأل النقاد : « هل قضى هذا الفيلم على الوهم وأصبح هو الحقيقة ذاتها ؟ » .

وليس ثمة شك فى أنه إذا قورنت « رحلات هيل » بهذا التطور الذى جرى فى عام ١٩٥٨ ، فإنها تعتبر أقل تقدمًا بكثير ، وكذلك كان حجم النظارة .

ولكن إذا أخذنا جميع الظروف والأمور بعين الاعتبار ، لوجدنا أن عملاء « هيل » كانوا يجدون متعة أكبر فى مشاهدة « رحلاته » .

# السينما الأمريكية

obeikandl.com

**الدكتور جون ميرسر** هو أستاذ السينما فى جامعة إيلينويس الجنوبية مؤلف كتاب « مقدمة إلى التصوير السينمائى » ، الذى نشرته شركة ستايبس للنشر ، ويدرس هذا الكتاب الآن فى أكثر من ١٥٠ كلية وجامعة .

obeikandl.com